لا يريد أن يصحو منه أبداً ، وفيها يرى الشخص نفسه كأنما هو يغسل وجهه ، أو يرتدى ملابسه ، أو فى طريقه إلى المدرسة ، ومعنى ذلك أنه يفضل أن يحلم أنه استيقظ من النوم على أن يستيقظ منه فعلا . وفى هذه الأحلام نرى أن الرغبة فى النوم (وهى التى قلنا عنها إنها تدخل فى تكوين الأحلام) ، تتمثل بوضوح وتبدو كأنها السبب الحقيق فى تكوين الحلم . وهى فى هذا الاعتبار تدخل ضمن الحاجات الطبيعية اللحة التى ذكرناها سابقاً .

تذكرون أننى سبق أن قلت لكم إننا نجد فى جميع الأحلام فيما عدا أحلام الطفولة وما يشبهها ، عائقاً يعوقنا عن التفسير وهو التحريف . ونحن لا نستطيع أن نقرر من الآن إن كانت هذه الأحلام أيضاً إشباعاً لرغبات ، كما أننا لا نستطيع أن نخمن أى مؤثر عقلى دفعها إلى التكوين ، ولا أن نثبت إن كانت هى أيضاً تعمل كأحلام الطفولة على تصريف الرغبات . فالحقيقة أن هذه الأحلام يجب أن تفسر أولا ، أى تترجم؟ ولذا يجب علينا أن نعكس عملية التحريف ، وأن نستبدل المحتوى الظاهر بالمحتوى الباطن ، وذلك قبل أن نقرر إن كانت الصفات التى اكتشفناها فى أحلام الطفولة تنطبق أيضاً على بقية الأحلام على اختلاف أنواعها

(يتبع) محمد جمال الدين حسن

طـــائفة المستعمرين
فى شمال أفريقيا

للأستاذ عبد المجيد بن جلون

ما من شك فى أن فكرة الاستغلال الاقتصادى هى الأصل فى الاستعمار ، فقد نشأت نتيجة لتطور الاختراعات ووجود أزمة المواد الأولية فى دول قادرة على الصناعة الضخمة السريعة ، بينما توجد بلاد عاجزة عن الاستغلال وتتوفر لديها المواد الأولية بكثرة فى نفس الوقت . ثم استتبع ذلك حاجة الدولة المستغلة إلى إرسال أفراد إلى هذه البلاد ، لكى يشرفوا على العمل فى أرض عجز أهلها عن التنظيم والعمل ، طبقاً للنظريات الحديثة . وهكذا نشأت فكرة الاستيطان فى البلاد المستعمرة ، أى أنها كانت تستند إلى عامل زيادة الإنتاج وتغذية المصانع بأكبر كمية مستطاعة من تلك المواد الأولية .

وإذا نحن انتقلنا إلى الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقية وجدنا أنه تعدى هذه الحدود تعدياً مخيفاً ، إذ اتخذ شكل هجرة كان للسياسة فيها دخل كبير ، وكان الأساس الظاهرى الذى تستند إليه هو أن المنتج الفرنسى أقدر من المنتج المحلى ، ولذلك برزت فكرة انتزاع الأراضى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين لتحقيق هذه المصلحة العامة ... المصلحة العامة التى لا تدخل فى حسابها مصلحة الأهلين .

أما فى الحقيقة فإن فرنسا كانت تستند فى إرسال المستعمرين إلى شمال أفريقيا إلى بواعث سياسية منذ احتلت جيوشها الجزائر سنة ١٨٣٠ ، وقد كان شعار الكونت ديسلى المحارب « الفتح بالسيف والعمران » . وقد ظلت هذه العبارة شعارا للاستعمار الفرنسى فى أفريقية الشمالية إلى اليوم .

وليست مشكلة الجنسية التى أثارتها فرنسا فى الجزائر ببعيدة عن سياسة نزع ملكية الأراضى ، لأنها كانت تعمل على تفتيت القومية الجزائرية بإدخال عنصر جديد إلى البلاد عامل ونشيط ، وإذا لم يكن من المستطاع أن تكون فيها أغلبية عددية فإنها كانت تفكر فى إنشاء أقلية أكثر أهمية من الأغلبية العددية ، وذلك بما يتوفر لديها من نشاط وقدرة وتفوق . ولذلك نجد أن فرنسا كانت تمنح جنسيتها للمواطنين بشروط معينة ، ثم نجدها بعد ذلك قد منحت هذه الجنسية لليهود الجزائريين جملة واحدة بمقتضى قانون ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧٠ .

ولا محيد لنا عن الإشارة إلى نشأة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر إذا نحن أردنا نفهم هذا الموضوع ، لأنه امتد منها إلى تونس ثم إلى مراكش . وجدت فرنسا الأراضى الجزائرية من أملاك الدولة طبقاً للنظام العثمانى ، فأبقت على ذلك النظام لكى تستعين به على منح ما تشاء منها لمن تشاء . واستولت فى الحال على أراضى الأتراك وأراضى المحاربين ، وكانت تمنح هذه الأراضى إلى الفرنسيين وتعترف لهم بملكيتها ، بينما ظلت الأرض التى

يقيم فيها الوطنون غير معترف بملكيتهم لها . وقد امتد هـذا الأمر إلى سنة ١٨٦٣ ، حينما اعترف لهم نابليون الثالث بهـذه الملكية .

وخرجت فكرة المحراث من حيز التفكير إلى حيز الوجود وبدأ الفرنسيون يدفعون بالجزائريين إلى الجنوب ليستولوا على الأراضي الخصبة في الشمال . لكنهم وجدوا أنفسهم أمام مشكلة جديدة هي : من أين لهم أن يوجدوا طائفة المستعمرين وبلادهم عاجزة عن المستعمرين من أبنائها ؟

حصل بعد الثورة الفرنسية في سنة ١٨٤٨ — وهي السنة التي صدر فيها قرار باعتبار أراضي الجزائر أراضي فرنسية — أن عمت البطالة بين الطبقة العاملة في باريس ، إلى درجة فادحة ، فقرر المجلس الوطني الفرنسي إرسال العمال إلى الجزائر لاستعمار الأراضي ، ليخفف بذلك من حدة البطالة ، ويحقق الهـدف الاستعماري في تلك البلاد . وكانت الحكومة تنقل النهال مجاناً إليها فإذا وصل العامل إلى هناك منحته عشرة هكتارات من أجود الأراضي الزراعية .

بيد أنه لم يكن من اليسير أن يصبح عامل المصنع فلاحا . لقد توافد هؤلاء المستعمرون إلى أرض الجزائر أفواجا أفواجا ولكن بدلا من أن يبرهنوا على تفوقهم في الانتاج أفسدوا الأرض وعجزوا عن استغلالها ، وما هي إلا بضع سنوات حتى بدأوا يرجعون إلى فرنسا من جديد وكان عدد الذين رجعوا أكثر من النصف .

وهكذا عجزت فرنسا عن أن تمد الجزائر بالفلاحين من أبنائها ، ولكنها لم تستطع بالرغم من ذلك أن تتنازل عن فكرة إيجاد أقلية تفتت القومية التي قد تحدث لها مشاكل في المستقبل تعجز عن مقاومتها ، ولذلك عمدت إلى اتخاذ إجراء خطير ، هو تشجيع الأجانب من اسبانيا وإيطاليا وكورسيكا على الهجرة إلى تلك البلاد والقيام بالدور الذي عجز أبناؤها عن القيام به . وفعلا توافد عليها خليط غريب من أجناس مختلفة ، منحتهم فرنسا جنسيتها مقرونة بامتيازات عديدة ، ووزعت عليهم الأرض ، ومن هؤلاء تناسلت الكثرة الغالبة من طائفة المستعمرين ، الذين يدعون أنفسهم بالفرنسيين الجزائريين ، وازداد خطرهم استفحالا مع مرور السنين .

ولقد كانت الإدارة المحلية دائما أشد تطرفاً من حكومة باريس في تشجيع طائفة المستعمرين هذه منذ نشأتها ، حتى إن التشريعات التي أصدرها نابليون الثالث لإنصاف عرب الجزائر قبرت في الإدارة المحلية بتأثيرهم ، وقد ظلت الإدارة تراوغ في تنفيذها إلى أن قامت الجمهورية الثالثة وتنوسي أمر تلك التشريعات نهائيا .

ثم بعد ذلك مدت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ ثم تقدم الزمن واستطاعت أن تمدها على مراكش أيضاً سنة ١٩١٢ فكان شعار الفرنسيين فيهما أيضاً هو « الفتح بالمحراث والسيف » وجاء المستعمرون الفرنسيون في إثر الجيش وبدأت نفس الإجراءات القديمة تتخذ في أفريقية الشمالية كلها ، على الرغم من التباين الموجود في علاقة شعوبها بفرنسا ، ولم تمر إلا مدة قصيرة حتى كان خطر هذه الطائفة يهدد مراكش نفسها التي لم يمر اليوم على تبعيتها لفرنسا سوى خمسة وثلاثين عاما .

وتعمل تلك الطائفة اليوم في تونس ومراكش على أن تنال كراسي في البرلمان الفرنسي لكي يزيد تأثيرها في السياسة الفرنسية وتعهد لاعتبار أراضيهما أراضي فرنسية ، ولكنها اصطدمت بالقومية فيهما ، وقد كاد يتم تأسيس دائرة انتخابية للفرنسيين فيهما لولا احتجاج جلالة ملك مراكش وسمو باي تونس على ذلك ، ولولا أن الوضعية السياسية في البلدين تمنع من تأسيس مثل هذه الدائرة ، ولكن هذا لم يفت في عضد المستعمرين ، إذ ما يزالون يسعون في نشاط للوصول إلى غايتهم متحينين الفرص وعاملين على خلقها .

وهم يتخذون مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة للتأثير على العسكريين والموظفين ، سواء في هذه البلاد أو في فرنسا . وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نقول إن وجود هـذه الطائفة خطر شديد على الحياة الاقتصادية ، إذ يستطيع أفرادها بما لهم من نشاط وقدرة وأساليب خاصة ، أن يهدموا القواعد التي تسير عليها الدولة حتى إن كبار الموظفين الفرنسيين يصطدمون بهم ، وقد حدث كثيراً أن اصطدم بهم ممثل فرنسا نفسه .

وتمتاز طائفة المستعمرين بالجشع الذي لا نهاية له ، والأنانية التي تستهين بكل شيء في سبيل تحقيق المآرب الشخصية ، كما يمتاز أفرادها بالتعصب والتطرف وسرعة التأثر ، وبالعمل الدائب المستمر على الوقوف في وجه الأهالي حتى لا يكسبوا أي حق من الحقوق لأنهم يعتقدون أن في ذلك ما يمس مصالحهم ، وهم